

ومجموعة أخرى من المصورات لبلاد الأناضول المشهورة مرسومة مدنها بالألوان تزيها ظاهرة مجسمة لواحد من أرباب الفنون المسلمين. وفيها صورة جميلة للسُلطان صلاح الدين الأيوبي.

ومن مزايا هذه المكتبة أن صاحبها مثل صديقنا أحمد بك تيمور يعرف ما في خزانته، ليس جماعة للكتب فقط. وعلى بعض شروح وحواش وورق ومفكرات. وتجد فيها الكتب المطبوعة النفيسة أكثر من المخطوطة العربية وأكثر من الإفرنجية والخزانة التيمورية أغنى بمخطوطاتها وأحسن بتنسيقها كما أن الخزانة الزكية أغنى بمطبوعاتها النادرة. ولكل منها مزية تختلف باختلاف محيط صاحبها وأسبابه ومعارفه. ومن غريب الاتفاق أنا كنا هذه المرة أيضاً مع أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري يوم زيارة المكتبة الزكية زيارة طويلة لنستلمني من صاحبها البهجة بعض ما لقفاد عنه آنفاً.

على أننا نعرف خزانته منذ ثمانين سنة وكان حفظه الله رخص لنا بالاختلاف إليها يوم كانت في داره بعبدين أي وقت أحيانا، كما فعل الآن، وأنا نأخذ منها ما نشاء ونرجعه متى نشاء، وقد فعل هذه المرة كذلك ولم يخص بهذه النعمة الأدبية إلا أفراداً معدودين من أصحابه. وأنا لارجو في الختام أن تطول أيام أحمد زكي باشا لينفع مصر وكل قطر يعلمه ويعلم هذا الشرق العربي بحمته ويزيد في فحوضنا العلمي والأدبي بمشاركته الغربيين ومنافستهم في إحياء آثار سلفنا.

#### اللغة الانتقادية

بقية ما في الجزء الماضي.

أشرفت الباب في الطرق وشرت لكم في الدين شريعة. أشب الله قرنه والرجل شب ولده وشب الغلام يشب شباباً والنار والحرب شوباً وشباً. اشتهرنا في المكان أقمنا فيه شهراً وشهر سيفه وأمره شهراً وشهرة. أشكته أجاته إلى أن يشكون وإذا نزع

عن شكايته وشكوته شكاية. أشجاد أغصه وشجاد حزنه. أشكل عليّ الأمر وشكلت  
 الكتاب والظاهر فيها شكولاً. أسررت الشيء أظهرته، وسررت للملح والأقظ نشرته  
 ليحف، أشاف عليّ كذا وأنفي أرشف، وشففت كذا أشوفه جلوته، أشخص الرامي  
 جاز سهم الهدف، وبفلان اغتابه وشخص لسفرد شخصاً وببصره فتح عينه. أشم مر  
 رفعاً رأسه وشممت الشيء شماً وشميماً، أشاد بذكره رفعه وبالشيء عرفه، وشاده  
 يشيده شيداً أي حصصه بالشيد وهو الحص، أشعب الرجل مات أو فارق فراقاً لا  
 يرجع وشعب كذا أم بينه وفرق بينه ومنه سمي المتن شعوباً، أصحت السماء وصحا  
 السكران يصحو صحواً أصعد في الأرض وصعد في الجبل قال أبو زيد ولم يعرفوا  
 أصاف الرجل ولد له بعد ما أسن، وصاف السهم عن الهدف عدل. أضاح الرجل  
 كثر ضياعه وضاع الشيء يضيع ضيعةً وضياًعاً وضاعه كذا يצועه حركه ومنه  
 نضوع الطيب تحركت ريحه، اضرب عن الأمر في بينه أقام وضرب في الأرض خرج  
 فيها باغياً للرزق، أضجوا صاحوا وجلبوا وضجوا وجزعوا، أطل عليه أشرف، وطله  
 دمه أبطله أطرق الرجل مكت فلم يتكلم، وأطرق الإبل تبع بعضها بعضاً وطرق  
 طروقاً أتى ليلاً، أطلى الرجل مالت عنقه، وطليت الإبل من الجرب، وهو يطله أي  
 يرضه، أطاع له المرتع أي اتسع وأمره إطاعة لا غير، وطاع له أن قاد، أطلع النخل  
 خرج طلعه وألعت من فوق الجبل وأطلعت، أطاف به أم، وطاف حوله يطوف طوقاً  
 وطاف طوقاً، وأطاف يطاف أطياًفاً إذا ذهب إلى الغائط وطاف الخيال بطيف طيفاً،  
 أعجمت الكتاب وعجمت النوى عضضته، أعرضت عن الشيء وعرضت العود  
 عليّ الإناء والسيف عليّ الإناء والسف عليّ فخذه والجند قيل قد فاته العرض  
 كقولك القبض والنقض والخط والرفض لما يقبض ويرفض وينقض، أعتته من العون

وعنته صيته بعين فهو معيون أعرتة كذا وعرتة صيرته أعور، أعلق الحابل وقع في  
 حبالته الصيد، أعيت في المشي وعييت في المنطق فأنا عمي وعى.  
 أغلقت الباب ولا تقل مغلوق وأغفيت ولا تقل غفيت أغث الحديد فسد، وغاثت  
 الشاة هزلت. أغل الجارز ترك في الإهاب لحماً وأغل وأغل وغل خان وغل صدره غلا  
 وأغل صار له غلة. أغبر في طلب الحاجة جد فيها وأثار الغبر وغبر بقى والغبر بقية  
 اللبن في الصرع وبقية الليل. أفلق في كذا جاء بفلق أي أعجب وفي العلم برع وقلق  
 الهامة والصخرة أي شقها. أفرى الذنب بطن الشاة إذا شقه، وهو يفري ال فرا إذا  
 جاء بالعجب، أفرق من علته وفرق شعرد وبين الحق والباطل، أفليت صرت في فلاة  
 وفليت رأسه وشعرد وفليت بالسيف، أفتق قرن الشمس أصاب فتقاً فبدا منه وفتق  
 الطيب والناس من عرفات دفعوا أفرضت وجية فيها الفريضة، أفصح الأعجمي  
 وفصح اللحان. أفلقت الجند من مبعثهم ففقلوا قهلاً وقهولاً وخيل قوافل ضوامر.  
 أقرن له أطاقه، والرمح رفعه، وقرن بعيرين في حبل وبين الحج والعمرة أفلعت عنه  
 الحمى وهو في قلع من حمأة، وأفلع عما كانت عليه، وقلعت الشيء من أصله، أقرته  
 صيرت له قبراً يدفن به، وقرته دفنته. أقصيته أبعدته وقصوت البعير فهو مقصو،  
 قطعت طرف أذنه وجعل مقصو مقصي ولا ت قل أقصى أقبست الرجل علماً  
 وقبسته نار جثته له فإن طلبها هو قيل أقبسته أقم الفحل الإبل لقمها جميعاً، وقم  
 الكيت كسبه، أقدته أسقته أعطيته خيلاً يقودها ويسوقها، أقرأت المرأة إذا ظهرت  
 وإذا حاضت. أقات على الشيء اقتدر عليه وقات أهله قوتاً والقوت الاسم وما عنده  
 القبت ليلة وقتها، أكرى الكرى ظهره وأخذ كروته (كذا) أو كرى نقص وق يل  
 زاد والحديث أطاله والشيء أخرد وقال فقيه العرب من سرد النسا ولا نسا فليكر  
 العشا وليباكر الغذاء وليخفف الرداء وليقل غشيان النسا، وكروت بالكرة كرواً

ضربت بما أكب على العمل وكب الإناء وكعب لله لوجهه. الأح من ذلك أشفق  
 وبحقي ذهب به ولاح البرق والسيف يلوحا لوحاً. ألوى به ذهب به والقوم بلغوا  
 الرجل والبقل صار لويماً أي بعضه يابساً وبعضه فيه ندوة ولوى يده لياً ولواد بالدين  
 مطلقه لياناً. أمقر الشيء صار مرأً والمقر الصبر ومقر عنقها دقها. الإحاق أن يهلك  
 المال كحاق المال ومحاق السيف شدة حره وحقت الشيء أمتعت عنه استغثت  
 وقول الراعي:

خليطين من شعير شتى تجاوزا ... قديما وكانا بالتفريق أمتعا

قال الصمعي ليس أحد يافرق صاحبه إلا أمتعة الشيء يذكره فكان ما أمتع هذان  
 تفرقا ومتع النهار ارتفع وبيد مانع شديد الحمرة وحيل مانع جيد انصلت الرمح  
 نرعت نصله أنصلته ركبت عليه النصل ومنصل الأسنة (رجب) لأنهم كانوا يتنازعون  
 السنة فيه فلا يتحاربون. أهدت الحوض أي ملأته وحوض فمدان وهدت للعدو أي  
 نهضت له. انصف فلان صاحبه وقد أعطاه النصفه ونص ف النهار ينصف والأوار  
 ساقه بلغ نصفها والقوم نصافة خدمهم والناصف الخادم أنضيت البعير هزلتها فهو  
 نضو ونضيت السيف وانتضيته سلته ونضا بربه ألقاد والحضاب نصل. أوعيت المتاع  
 في الوعاء ووعيت العلم حفظته أوهمت مائة في الحساب أسقطها ومن صلاتي ركعة  
 أوغل في البلاد تباعد ووجل في القوم دخل فيهم وهم يشربون من غير أن دعي  
 ورجل واغل ووجل وفي الطعام وارش أو نرعه أغراد ووزعه كفه وقيل (لا بد  
 للسلطان من وزعة) أي كففة. أولع بكذا والاسم الولوع وولع يلغ ولعاً وولعاً  
 كذب. أمجد البعير ألقى جرائه على الأرض وهجد مجوداً أنام ليلاً.

باب ما يضعه العامة في غير موضعه

أطعنا خبز ملة وخبزاً مليلاً ولا تقل أطعنا ملة فإنها الرماد الحار، ماء اغمر وما اشد غمورد ورجل غمر الخلق واسمه وفي صدره غمر أي غل ورجل غمر من قوم إغمار نين فيهم الغمارة والغمر القدح وفي فلان ميل (بالسكون) وفي الحايط ميل (بالتحريك) وفاض افناء يفيض فيضاً. عرج صار أعرج وعرج عليه أقام. لاح سهل بدا ولاح تاللاً. تسع بالمعدي لا أن نراد منسوب إلى تصغير معد فاجتمع التشديدان فخفف الغل في الطش وفيما يقيد به والغل العداوة ويقال خرجنا نتزه إذا خرجنا إلى البساتين وإنما التزه التباعد عن الماء والريف فلان بزهة عن الناء والشراب وفلان نزيه بعيد عن اللوم وتزهوا بجرمكم عن القوم أبعدهوا عنهم عزت إليك بكذا وأوعزت. صدقة المرأة وصدقتها. ماء ملح وسمك ملىح وملوح ولا تقل ماخ افعل كذا وخلان ذم أي لا تذم ولا يقال ذم ضربة لازم وقيل لازم ولاتب بإضارة من كتب وإضمامة وللجمع أضاير وأضماميم. شيء رزين وثقيل وامرأة رزان الفحل لا يقال إلا في النخلة جمعه فحاحيل وعينان الكتاب عنوانه وعلوانه وقد عنونته وعلونته مهلاً يقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث على لفظ واحد ولا يقال يعنى عنك مهل وهلم كذلك ومنهم من يقول هلم وهلموا وهلمى وهلمى تقول إيه إذا استردته وأبها إذا كفته وويها إذا أغريته وواها إذا تعجبت منه وتقول صه ومه إذا سكت عليه وإذا واصلت قلت صه ومه يا فلان وإذا قيل هل لك في كذا قلت فيه حاجة فحذفت الحاجة من السؤال والجواب.

إن أخطأت فخطني وإن أصبت فصوبتي وإن أسأت فسؤ علي أي قلت لي أسأت وسوات عليه ما صنع أي قبحه وأخطأ خطي لغتان يقال (مع الخواطي سهم صائب) لمن يخطئ كثيراً ويصيب مرة ورجل أعسر يسر ولا تقل ايسر ويأمن بأصحابك وشام أخذ بهم بمنة وشامة تكلم فلان فما أسقط حرفاً وما أسقط بحرف كقولك أدخله

ودخلت به وغفلت عنه وغفلته وأغفلته وجن عليه الليل وأجنه وقيل جنه بالضح  
 (الشمس) والريح ولا تقل الضحى عند الحافرة أي عند أول كلمة وقال تعالى  
 (إنا لمردودون في الحافرة) أي في أول أمرنا فلان يسئل ولا تقل يتصدق في معناه فلان  
 وفلانة كناية عن الآدميين والفلان والفلانة عن البهائم. عايرت الموازين عياراً ولا  
 تقل عيرتها وعيرته بذنبه. عاد الظليم صاح يعار عراراً ولا تقل عر. كانا منهاجرين  
 فأصبحا يتكلما أخود بلبان أمه ولا تقل بلبن أنه وهده عصا وعجوز وأتان وعرس  
 وفهر. وقتب لواحد الأفتاب أي الأمعاء وقدم وأضحى كلها مؤنات لا يدخلن  
 الهاء وسميت الأضحى بجمع أضحاة أي الشاة التي يضحى بها يقال أضحاة وأضحى  
 واضحية والجمع أضاحي وضحية وللجمع ضحايا.

ومما تضعه العامة في غير موضعه

تقول للمعلف أرى وإنما الأرى والأخية محسب الدابة وللجمع الواري والأواحي  
 تأدبت بالمكان تحبست فيه وارت القدر لصق بأسفلها شيء من الاحتراق كبر حتى  
 صار كأنه قفة أي الشجرة البالية لا يقبل منها طرف ولا عدل الصرف الحيلة من  
 قولك أنه يتصرف يقال أكذب من دب ودرج أي أكذب الأحياء والأموات يقال  
 درج القوم إذا انقضوا هو نسيج وحدد لمنلا شبه له وأصله أن الثوب الكريم لا  
 ينسج على منواله غيره أحمق ما يتوجه إلى ما يحسن أن يأتي العائط وأصل العائط  
 المظمن في الأرض وزكان من يقضي حاجته إلى العائط فقل ذلك لمن قضى حاجة  
 التيمم أصله القصد وصار اسماً لمسح. الوجه واليدين بالتراب المسافة المفازة أصلها  
 من السوف الشم وكان الدليل إذا ضل بفلاة شم التراب فعلم أنه على الطريق وكثر  
 استعماله فصار يسمون البعد المسافة. ليك وسعديك تأويله البابا ليعد الباب أي  
 لزوماً لطاعتك يقال ألب بالمكان اقام به مرحباً وأهلاً آتت سعة وأهلاً فلا تستوحش

حياء الله وبياء حياك ملكك والتحية الملك وبياء اعتمدك بالخبر يقال إعرابي جلف أصله من إجلاف الشاة وهي الشاة المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن خاس. الطعام والبيع أصله من خاست الجيفة في أول ما تروج فكأنه كسد حتى فسد. لا لاتلم عليه أي لا تقبح أصله من أبلمة الناقة ورم حياؤها من شدة الضبعة وأبلم الرجل ورمت شفتاه توحش للدواء أي اخل جوفك له يقال بات وحشاً إذا لم يطعم وباتوا أوحاشاً ليلتين. الأسير أصله أنه كان يؤخذ فيربط بالقد وأسره أي شده فصار الأسير اسماً للمأخوذ قال الله تعالى ابن عوف رجل قوي. رجع بحفي حين لمن رجع عن حاجته قيل أنه كان رجل ادعى إلى أسد بن هاشم فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما أعرف شئنا هاشم فيك فارجع فقالوا رجع حين يخفيه فصار مثلاً. الشرف والمجد يكونان بالآباء يقال شريف ماجد والحبس والكرم بالنفس وإن لم يكن آباء لهم شرف. يقال فلان شولة الناصحة وشولة كانت أمة رعناء تنصح موالها ونصيحتها وبال عليهم. الطفيلي منسوب إلى طفيل رجل من أهل الكوفة يأتي الولايم من غير أن يدعى إليها يسمى طفيل الأعراس فكان يقول ودد أن الكوفة بركة مصهجة فلا يخفى على شيء منها والعرب تسمي الطفيلي في الطعام. الوارش وفي الشراب الواغل. بقرطكي مارية هي مارية بنت أرقم. قولهم في تحية الملك (أبيت اللعن) أي أبيت أن تأتي ما تلعن به. قرم إلى اللحم وعام إلى اللبن ورجل عمان وامرأة عيمي. يقال أم وعام أي هلكت امرأته وماشيتة فصير إنما وعميان. ووحمت المرأة اشتت شيئاً على حملها والماشية تكون من الإبل والغنم وناقة ماشية كثيرة الأولاد البعير كالإنسان للمذكر والناقة كالمراة والبكر كالفتي والبكر كالفتاة والقلوص كالجارية. الفقير الذي له بلغة. والمسكين من لا شيء له، الأرامل المساكين من الرجال والنساء وأرمل نفذ زاده.

وعام أرمل وسنة رملاء قليلة المطر. رمح ذو الحافر وركض ذو الحف وضبط البعر بيده. المراد ما يستقى فيه الماء والراوية ما يحمل عليه الماء وقد رويت القوم استقيت لهم الماء ضفرت. المرأة الشعر ولها ضفيران وضميران ولا تقل ضفيران. الزوج يقال للرجل والمرأة وقيل زوجه وزوجته. امرأة تزوجتها وليس من كلامهم تزوجت بها وأما قوله تعالى (وزوجناهم بحور عين) فمعناه قرانهم وهي لغة ويقال زوجا حمام للذكر والأنثى. الغلط في الكلام والغلت في الحساب يقال غلط وغلت. توضأت وضوءاً وقد وقدت النار وقوداً ووقداً وقدة والوقود حطب يوقد به والظهور والغسول والبخور والذرور والسقوف والسعوط والمنون والسحور والفظور ما يفعل به ذلك. واللبوس ما يلي. والقرور والبرود ماء بارد يغسل به وقد اقررت والسدوس الطيلسان وسدوس اسم رجل. والعلوق ما يعلق به الانسان وبه سميت المنية علوقاً. السموم والحرورالريح الحارة. والذنوب لحم أسفل المتن. والدلو فيها ماء القيء دواء يشرب للقيء. العقول دواء يمسك به البطن والمشوش ما تمش به اليد أي تمسح والمش مسح اليد بالشيء. الحشن والرقوء ما يرقأ به الدم هو شوب لكذا أي يزيد فيه ويقويه والصعود مكان فيه ارتفاع والمؤد العقبة الشاقة وهبوط وحدور وحطوط شوب اسم للمنية خاصة الفرقل لما تقول له العامة القرفر والقافوزة والقافوزة فمولدة هو مضطلع بحمله أي قوي مفعل من الضلاعة وفرس طليع ولا يقول مضطلع والراكب الذي على البعر وإلا ركوب أكثر من الراكبوهم أصحاب الإبل والركاب الإبل الواحد ولا واحد من لفظها لها. زيت ركابي يحمل على الإبل والفارس راكب الفرس والحمار والبغائ قيل حمار وبغائ ورحالة وخيالة رجل نابل ونابل من النبل فإنه يعلمه فنابل رجل سايف وسياف وتراس ودراع ومتقوس ومتبل

مع هذه الأشياء وفارن معه سيف ونبل ومقنع عليه مغفر والمزدي والمدحج والشكاك  
والشانك التام السلاح.

البغايا الفاجر والطلانغ فواحدة الإمام بغبي وواحدة طلائع بغية أي طليقة في سيل  
الله أنت ولا تقل في سيل الله عليك طوبى لك ولا تقل طوباك ما به من الطيب ولا  
تقل من الطيبة سخرت منه ولا تقل وعجوز ولا تقل عجوزة تلك وتيك ولا تقل  
ديك كلية ولا تقل كلوة وكلينه أصبت كلينه حسي كذا أو حسي من كذا  
واحسي كذا كفاي ولا تقل بسى قدى من كذا وقدي وقطي وقطنا وبحسي كذلك.  
النجف (العراق).

محمد رضا الشيباني.

### آثار العرب الخالدة في أوروبا

اللهم مالك الملك تزي الملك من تشاء وتزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل  
من تشاء! بيدك الخير إنك على كل شيء قدير

قرآن شريف.

سادتي

أقرنكم تحية العرب فأقول لكل فرد: سلام عيكم.

وأثني بتحية الإسلام فأقول لكم جميعاً: السلام عليكم.

وأعزز هذه التحية المزروجة بما أخذه الإفرنج عن العرب فأقول لكم بمراجعة المعنى  
الصحيح:

هذه الكلمة، أيها السادة، وإن كان الإفرنج قد نقلوها إلى معنى التملق والمبالغة في  
الخصوع والخنوع والخشوع، لكنها في الحقيقة تدلنا على تأثير الحضارة الإسلامية  
على أمم الغرب في أوروبا. أفليس من سنة هذا الكون ومن نواميس العمران أن

الاحتكاك بين الأقسام المختلفة وإن اختلاط الشعوب المتباينة لا بد أن يترتب عليهما تأثيراً لبعضهما على البعض الآخر حتى يظهر هذا التأثير في الأحوال العامة وفي الشؤون الخاصة؟ وذلك التأثير مصدره قوة الحضارة. فيكون ضعيفاً ضئيلاً أو قوياً جسيماً بحسب ما وصلت إليه الأمة الغالبة من الارتقاء في سلم المدنية، ويقدر ما نالته من السيطرة والرجحان.

فأما أمة استبحر العمران بين أبنائها فلا بد لها من التبسط في الأرض والتغلب على الأمم. فلا يلبث أن يكون لها سلطان (ولو معنوي) على البطون والعشائر التي تجاورها أو تمازجها أو تأثر بكلمة منها. وأثر ذلك أن يظهر للمتأمل المتفكر كجبين الصبح ووضوح النهار في الأمور المعاشية من زراعة وصناعة وتجارة، بل في الأخلاق والعادات والطباع، بل في العلوم والمعارف، بل في الجد والهزل والرقار والخلاعة. لست أذهب بكم بعيداً في إثبات هذه الظاهرة العمرانية وهذا الناموس الاجتماعي وإنما أناشدكم أن تنظروا عن أيمنكم وشمائلكم وفيما بين أيديكم، أفلا ترون الرجل من قومنا ممن لا يحسن التلطف بلغة أمه وأبيه، ولم يرزقه الله إماماً قليلاً برطانات الأعاجم، أفلا ترونه يبادر صاحبه ومشاكله عندما يلقاه في ليل أو نهار: بونجور مون شير، بون سوار؟.

أفليس من الخلق الخزوم به أن أبنائنا سيلقون في الغيط وفي البيت جود مورنج ماي دير، جود نايت؟ بل قد خرجت هذه الكلمة من أفواههم!

ذلك لعصري من خور النفوس وضعف الطبيعة وانحطاط الأخلاق. وقد يكون من باب التنطع عند العلماء، ومن باب الخذلقة (الحفلة) في أنصاف العلماء (وهم شر الناس). وأما الجاهلون فحسبهم أهم جهال. وبقي أن التنطع والخذلقة من الأمور

التي لا بد لنا من محاربتها لنكون قوامين على لغتنا وذاتيتنا، وليكون لنا سعي مشكور في إحياء آدابنا وإحياء بلادنا.

على أن موضوعي في هذه الليلة سيضطري في كثير من المقامات إلى التذكير بالفاظ أجنبية مأخوذة عن العربية لأبين ما تركه أجدادنا من الآثار الباقية والمآثر الخالدة في الأمم الأوربية. فعلى سبيل التمهيد ومن باب الدخول في الموضوع أستأذنكم في إلقاء جملة صغيرة باللغة الفرنسية يتغلغل بها الكلام وليأخذ الحديث برقاب بعضه بعضاً.

لا جرم أن يأخذكم العجب وتولاكم الدهشة إذا قلت لكم يا سادتي إن كلمتي مشتقتان عن جرثومة عربية محضة فالأولى (ونظيرها عند الطليان فعل مأخوذة من قول فلان حائر بائر. وأما الثانية فهي من قولهم بهرت فلاناً فانبهر. فهل يصح لأحد أن يحار بعد الآن في ذلك الاشتقاق) وقد ظهر السبب فبطل العجب؟ وهذا كما ترى.

أقف هنا قليلاً. ولا أزيدكم علماً بأن الفرنسيين كثيراً ما يستعملون كلمتي وتحليلها اللغوي وانظر إلى ذلك أو كما يقول عامتنا أهو كده هو كذا ويضارع ذلك قول العرب: وهذا كما ترى تلك الجملة ترد كثيراً في مسامرات أبي حيان التوحيدي مع وزير بغداد كما نراه في كتاب الإمتاع والمؤانسة الذي أحضرته في هذا العام من خزانة القسطنطينية. وربما حاضرت قومي به وموضوعه في فرصة أخرى.

ذكرت لكم في الجملة الفرنسية كلمة تالته وهي كلمة وأصلها عربي أيضاً. ولو نطقنا بها على الطريقة الطليانية لقنا: سوكي أو لو

بختنا ما يقابله عندهم لوجدنا فلو سقنا الآن آية من القرآن لظهر أصل الاشتقاق. قال الله تعالى في وصف الصحابة: (رحمنا بهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. سيماهم في وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم في التوراة. ومثلهم في

الإنجيل كزرع أخرج شطأه (فراخه وورقه) فأزره فامغظ فاستوى على سوقه  
يعجب الزراع) (الآية).

أخذ الإفرنج كثيراً من طرق العرب واساليهم في الزراعة كما سنيه فيما يجيء،  
واخذوا معها اللفاظ تارة وهي في حالة المفرد وتارة في حالة الجمع. ومن هذا القبيل  
كلمة التي نحن بصددنا أخذوها عن سوق جمع ساق ثم حرفوا معناد عن أصله فترلوا  
بها إلى باطن الأرض وجعلوها بمعنى الجرثومة والأصل: ثم توسعوا فيها فأطلقوها على  
جميع المعاني التي تدل عليها الجرثومة في اللغة العربية حساً ومعنى. حقيقة ومجازاً.

وهناك ألفاظ كثيرة جداً تدل على تأثير العرب في الإفرنج تأثيراً باقياً إلى الآن:  
نعم إن العالم ذهب بها الأيام والعوادي، ولكن أثرها قد بقي. فالأطلال تحدث الشاعر  
الباحث. وتستوقف الناظر والمسافر وتناجي الضمائر والخواطر، بما كان للعرب في  
تلك البلاد من الآثار والمفاخر.

وسأعترف لكم نذراً يسيراً مما علمت أنه مأخوذ عن العربية وقد تأصل في اللغة  
الفرنسية الجميلة (وما يتبعها من اللهجات الخاصة ببعض الأصقاع في فرنسا) وفي  
اللسان الطلياني (وما تولد عنه أو من اللهجات الشائعة في شبه الجزيرة الطليانية وما  
إليها من الجزر الأخرى) وفي لغتي الإسبانين والبرتغاليين (وما تفرغ عنه أو تفرغ  
عنها في ربوع الأندلس بحسب الاصطلاح الجغرافي العربي من الرطانات المتداولة  
الآن أو التي قضى عليها ناموس النشوء والارتقاء بالدخول في خبر كان).

قلت لكم إنني سأعترف من ذلك شيئاً، ولست أتعدى كلمة الاعتراف قبل أن  
أحيطكم علماً أن الإفرنج أخذوا عنها كلمة الفرنسية الطليانية الصقلية الإسبانية.  
ولكنهم كلهم تطابقوا على تناقل اللفظ العربي من المصدرية إلى الاسمية. فهو عندهم  
لبناء من الزجاج يوضع فيه الخمر أو الماء. ومن ذا الذي في مصر الآن إذا ذهب إلى

محل تجارة مذكور لا يكون قوله مفهوما إذا طلب المشتري الكاراف؟! نعم إن الطالب والمطلوب يتفاهما وكلاهما بغير العربية لا يتراطان أرهما بما يتراطان. لا اريد أن أتشبه بهذا البائع وهذا المشتري، فلا أجول أمامكم في مضمار لست من فرجانه. فاللغة الإنكليزية قليل وبالألماي هو والعدم سواء، وباليونانية كالصفر على يسار الأرقام، إلى ما هنالك من لغات أخرى قد أخذت عن العربية طائفة صالحة من الألفاظ والمسببات مما يتعلق بالعلوم أو بحاجات المعيشة والأرزاق، كما أننا الآن نأخذ منهم بعقل وبدون تعقل، وبفكر وبلا ترو حتى أصبحنا عالة على تلك الألسنة الأعجمية فيما قد نجد له بديلا وعنه غناء في لغتنا. دع عنك الألفاظ التي يتواضع العلماء عليها لأغراض مخصوصة أو لمحدثات لم تكن معروفة، فهذا النوع من الألفاظ ملك شائع لجميع بني الإنسان. وهكذا سنة الله في خلقه: يوم لنا ويوم علينا، (وتلك الأيام تداولها بين الناس).

وأنا أمني (أستغفر الله) بل الواجب علينا جميعاً معاشر الناطقين بالضاد، وأهل مصر على التخصيص، أن نتصافر ونتعاون في هذا العصر العباسي الزاهر وفي ظل ملكنا الرحيم وبعناية رجال حكومته الحاضرة، فنكون عصبة واحدة ونعمل عملاً متواصلاً متوالياً حتى يسنا لنا إحياء آدابنا لتجديد العلوم فيها، ولإيجاد بواعث الارتقاء المنشود. فتلک هي لعصري الخطة الوحيدة التي تجعل لنا مقاماً كريماً بين الناس، كما كان لأجدادنا السابقين إلى الغايات.

أيها السادة

سبق لهذا العاجز الذي يناجيكم الآن أنه ألقى محاضرة بين يدي سيدي العباس بمناسبة افتتاح الجامعة المصرية. وقد أبت فيها أن أهل الإسلام إنما تسموا ذروة مجد بالرحلة

إلى الأمصار ويقطع البحار وعملاً بالأمر الرباني الذي اوجب علينا المشي في مناصب الأرض، والسعي في طلب الرزق، والرزق على معين: مادي وأدبي، كما لا يخفى. عمل أسلافنا بهذه الآية الحكيمة فنالوا ما نالوا، وعكسناها فصرنا إلى ما صرنا هؤلاء نحن نرى مئات المصريين إذا جاء القيظ يقولون هلم بنا إلى أوروبا للاصطياف! هذه رحلة الصيف التي كانت لإبلاف قريش! وفاتمهم أن رحلة الصيف كانت لكب المال الحلال من التجارة، وللاستفادة من المنافع المرتبطة بالارتحال: أما قومنا الآن، فالسواد الأعظم منهم يهرع إلى أوروبا في كل عام، وأنتم أعلمم بالغرض الذي يرمون إليه وبالهدف الذي يترامون عليه وحواليه. أهم ينفرون خفاقاً وثقالاً (أستغفر الله) بل خفاقاً متأبطين ما خف حملة وثقلت موازينه، يحملون ورقاً يعني عن الورق تكديماً للشاعر الذي قال لمُدوحه:

أهديتني ورقاً لمُهدوي ورقاً ... قل لي بلا ورق ما ينفع الورق

ولو عاش هذا الشاعر إلى عصرنا لاكتفى من مُدوحه بالتوقيع على ورقة من السفائح (التي يسميها أصحابنا بالكسيالات) أو من المصرف الذي يخزن فيه أمواله بامضاء على شيك من الشيكات، تلك الكلمة الثانية أصلها عربي عن اللغة الفارسية فهي الصك وجمعه الصكوك أخذ الإفرنج هذا اللفظ عن العرب في جملة ما أخذوه عنهم من اصطلاحاتهم التجارية والمالية فقال: شيك.

أصحابنا يهجروننا في الوقت الذي تحتاج فيه زراعناهم إلى عنايتهم! وفي ذلك ما فيه من الضرر عليهم وعلى بلادهم! ناهيك أنهم لا يتشبهون بالطير! تغدو حماساً وتروح بظاناً. وأما أصحابنا فيتهافتون على أوربة بظاننا وقد تأبطوا ما جمعوه أو اقتصدوا من المال ويرجعون إلينا حماساً بل صفر الوجود، صفر الجيوب.

أفرايتهم أولئك الفلاحين الذين أغناهم الحظ، وهم لا يكادون يفقهون لغة أمهم وأبيهم. أفرايتسهم حينما يقولون: إنا ذاهبون إلى البلد الفلاني لأجل الكور يقولون في أفواهم ما ليس في قلوبهم كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وما هي الكور (الاستشفاء والتدبير الصحي) كلمة سمعها فأعجبهم غرابتها واستعملوها ولا يدرون لها معنى ولا يقيمون لها وزناً ولا يعملون على تحقيقها فعلاً وعملاً!

غير أنني في هذا الشهر المبارك شئت بارقة من الأمل ولعلها مبشرة بغيث ينهل في المستقبل، وأعني به المستقبل القريب.

فقد تشرفت وجمهوراً كبيراً (الواو هنا واو المعية) من أكابر الموظفين بتناول الإفطار أمس على طاولة الخديوية في حضرة وبي الأمر في مصر حفيد محمد علي ولا فخر، الجالس على تحت المعز وبنية القابض على صولجان صلاح الدين وذراقيه، الوارث لتاج الظاهر، التحلي بإكليل النصر، المستوي على عرش المؤيد، المنبؤ لأريكة الأشراف، مولانا ووي نعمتنا المقر الأشرف الحاج عباس حلمي الثاني محي الآداب، العربية.

فقد حدثنا عن إعجازه بفتى من فتیان مصر رآه يجول في جبال الألب فيما بين فرنسا وسويسرا متقباً في بطون الوهاد منقراً فوق ظهور الأتجاد مستجرباً صياصي الأجبان. وغايته من ذلك أن يتعرف ما أبقاه العرب هنالك من المآثر والآثار أو ما تركوه من الرسوم الدوارس والأطلال.

لم يكف المليك بهذه الرعاية التي تتطال نحوها رقاب المجتهدين من أبنائه، بل بالغ في الفضل فأوصى رجال حكومته بأنه يساعدوا هذا الرجل (وهو محمود بك سالم) عند عودته ليمكن من إتمام عمله الجليل وسعيه المشكور فيما يرجع بالفائدة على مصر خصوصاً وعلى الشرق عمومًا.

لا ريب عندي أن رجال الحكومة فاعلون لأنهم يقدرون كل عمل نافع حتى قدره  
ولأنهم قادرون على تعضيد كل مشروع مفيد.

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنفص القادرين على التمام

كيف لا والإشارة صدرت من الأمير أدام الله لنا وجوده، وأتم عليه نعمته وأيده  
بروح منه حتى يكون حكمه السعيد مرشداً إلى سر العدم الذي نبتغيه لتجديد  
المكارم بفضل حشمه ورجاله الذين وهبهم الله من العلم والحلم ما يؤذن برفع شأن  
الأمة المصرية.

لهذا السبب أردت أن أتعجل في القيام بالمفروض علي من امثال هذه الإشارة والعمل  
بها فيما يدخل في دائرتي ويصل إليه مقدوري.

أردت أن أمهد الطريق أمام ذلك الصديق. حتى إذا ما عاد بالسلامة محمود بك سالم  
وجد النفوس متشرية بفائدة المشروع ورأى الأرض صالحة لهذا الغرس الطيب.  
فيكون شعارنا كلنا: حيّ على عمل الخير!

ذلك هو البعث الذي نبتغيه بعد أن طال السابت، ذلك هو النشور الذي نشده  
للشرق! فالحياة تجدد في كل يوم عن يمينه في الشرق الأقصى وعن شماله في أوروبا  
وأميركا وهو جامد في موقفه كأنه في البرزخ. أفلا تكون حركة من وراء هذا  
السكون؟

نعم فالحركة من مميزات الحياة. ونحن والحمد لله فينا بقية وإن كان بعض الناس ينظر  
إلينا فيخالنا كالناتنين في البراري، أو كاهل الكهف؟

بماذا تجدد الحياة في الشرق

بالرحلة لعمرى! كما ابتدأ ديبه انتعشت بما الأمة العربية في أيام الأمويين والعباسيين.  
فمن المعلوم أن الوسيلة الواحدة تنتهي دائماً إلى غاية واحدة وأن المعلوم يدور مع  
العلة وجوداً وهدماً.

فلعل هذه الخطة الجديدة التي كنت ولا أزال أسعى وراءها منذ ربع قرن تصبح سنة  
بيننا وأنا اليوم على يقين من تحقيق الأحلام. فالداعي إليها اليوم ليس أحد أفراد الأمة  
وإنما هو صاحب التاج، والناس على دين ملوكهم.

هذا وإنني لا أبيع الحكمة إلا بحسن الاستماع ولا آخذ عليها ثمناً إلا فهم القلوب  
وهذا كما ترى!

يطربني وأيم الله أن أرى هذه السنة الجديدة متداولة بيننا معاشر المصريين فيرحل  
المقدر منا إلى أوروبا بشرط أن يجعل نصب عينيه العمل على الاستفادة مما وصل إليه  
أهلها في حلبة الفضل وميدان التقدم.

لست أنكر على الراحلين أن يضعوا معظم وقتهم وأن يصرفوا جل مالهم في لذات  
أنفسهم وشهوات بطونهم. ولكني أناشدهم وأناشدهم أمهم (مصر) أن يجعلوا الثلثين  
لهم والثلث لها وأن يعملوا بقول الشاعر:

والله مبي جانب لا أضيعه ... والله مبي والخلاعة جانب

بل أكتفي منهم أن يخصصوا لوطنهم نصيباً زهيداً من اغترابهم فالذرة يتكون منها  
الطود الشامخ والقطرة هي أصل العباب الزاخر.

أملني فيهم أن يعودوا لنا بكتاب من كتب أجدادنا التي ليست في خزائنا (والخطب  
سهل فما عليهم إلا أن يصدروا أمرهم لأي إنسان من المشغلين بالنقل بواسطة  
التصوير الشمسي) أملني فيهم أن يرجعوا إلى أهلهم وأهل بلادهم بفائدة (والأمر  
ميسور فما عليهم إلا الآن ينظروا بالعيون التي خلقها الله وأن يعتبروا بالعقول التي

أودعتها الحكمة الربانية في رؤوسهم). إن في أوربة الآن لآية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو رشيد.

فكما كانت الرحلة سبباً في تقدم الشرق في أيام السلف الصالح، فكذلك تكون إن شاء الله بفضل الجيل الحاضر وما يتلوه من الذراري والأعقاب.

كيف وصل المسلمون إلى أوربة؟

يقطع البحر الفاصل بيننا وبينها. هذا البحر الذي نسميه الآن بالبحر البيض المتوسط والذي كان يسميه أسلافنا بالبحر المتوسط لتوسطه بين أراضي أفريقية وآسية وأوربة واسمه المشهور عندهم بحر الروم. ولو أنهم سمروا بالبحيرة الإسلامية لكانوا قالوا حقاً وأثبتوا صدقاً. فقد امتلكه المسلمون وامتلكوا ما فيه من الجزائر مثل: ميورقة ومنورقة (وهي المعروفة الآن بجزائر البليار وكان المسلمون يسمونها بمدين الاسمين وباسم الجزائر فقط وأما القطر جزائري المشهور فاسمه عندهم مأخوذ من اسم عاصمتهم جزائر بين مزغنة وابن مزغونة) ثم صقلية، وقوسقة وأقريطش (المعروفة الآن باسم كريد) وكل هذه الجزائر كانت الحضارة الإسلامية فيها باهرة زاهية زاهرة.

أما الجزائر الصغرى فكان شأنها كذلك مثل قبرص ورودي ومالطة. وآثار الإسلام ما تزال باقية إلى الآن ولعلكم ترتاحون إلى العلم بأن مالطة كانت سوق الأدب العربي فيها رائجة كان صاحبها اسمه القائد يحيى صنع له أحد المهندسين صورة لمعرفة أوقات النهار بالصنج فقال أبو القاسم بن رمضان المالطي لعبد الله بن السط المالطي أجز الله هذا المصراع.

جارية ترمي الصنج ... بما النفوس تبتهج

فقال:

كأن من أحكمها ... إلى السماء قد عرج

## فطالع الأفلاك عن ... سر البروج والدروج

أما بحر الأرخيل وجزائره فلم يدخلوا في حكم العرب بصفة أكيدة حقيقة وإنما كانوا يغيرون فيه عليها من حين إلى حين تبعاً لعلاقاتهم مع الروم صلحاً وهدنةً وسلماً وحرباً. هذا البحر هو بحر الأرخيل أو بحر هيجاي فانتم ترون أنه شيء وبحر سفيد بشيء آخر. ولا عرة بما يذكر في هذه الأيام في كثير من الجرائد العربية بمناسبة الحرب الحاضرة والكلام على الأرخيل وجزائره العثمانية - فإن الذين وقفوا أنفسهم على الترجمة فيها قد وقفوا عندما رأوا بحر إيجة ورأوا في كتب الجغرافية والتربية أو المعربة عن هذه اللغة لفظة بحر سفيد فاغترروا وغرروا بالقارئ إذ قالوا أنه بحر سفيد وأطلقوا على هذا البحر اسم سفيد لأنه غير متعارف في مصر وظنوا أنهم أفادوا وأدوا الأمانة حقها. فكانا مصداقاً جديداً للمثل السائر عند الطليان وهو ومعناه الترجمان خوان ويضح لنا أن نترجم ذلك مع التساهل ومراعاة ملكة اللسان المصري بقولنا المترجم مترجم والترجمة غلط الكلام.

فأملي أن تصل كلمتي هذه إلى أرباب الأقلام فلا يعودون إلى مثل هذا التخليط. قلت لكم يا سادتي أن المسلمين عبروا البحر فامتلكوا جزائره وجعلوها قواعد تقوم عليها أعمالهم في الفتح كما هو شأننا اليوم مع الدول العظمى. ومنها ذهب المسلمون إلى أوربة فامتلكوا ما قدروا عليه واحتلوا ما تيسر لهم، وأغاروا على ما أرادوا.

ذهبوا بأساطيل مؤلفة من الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام. تلك الأساطيل التي نفي بها الشعراء بما لا حاجة للإشارة إليه الآن لتلا يتشعب معنا الكلام فيخرج عمال يقضيه المقام، وإنما أردت لفت الأنظار إلى أن الدول التي تريد إعلاء كلمتها وحفظ بصتها لا يد لها من امتلاك ناصية البحار وذلك لا يكون بتلك الحصون الماخرات

الشامخات المشجرات. فإن البحر له الشأن الأكبر في رفع شأن الدول وسلاطة بعضها على بعض بحق وبغير حق. وحسبكم ما هو حاصل الآن بين سمعكم وبصركم في البحر الأبيض المتوسط وفي بحر الأرخيل بل وفي البحر الأحمر المعروف في كتب الجغرافيا العربية ببحر القلزم نسبة إلى مدينة القلزم التي قامت مقامها وعلى القرب منها مدينة السويس.

أخذ العرب عن اليونان اسم الأسطول للدلالة على مجموع السفن التي تباشر الحرب في البحر كما أخذنا نحن الآن عن الإفرنج كثيراً من اصطلاحاتهم البحرية. ومن ذا الذي ركب منكم البحر ولم يحتجز له قبرة في الباخرة؟ هذه القبرة هي طليانية النبت والمخند ومعناها العرفة والحجرة والأوضة. فإن هي إلا معاوضة ومقايسة كما أن البحر إذا انحسر عن البر من هنا طغى على الشط المقابل له في ناحية أخرى. ناموس عام تتجلى ظواهره في كل أعمال الإنسان وفي سائر أحوال العموان كذلك كان شأن الإفرنج منذ قرون ولقد بقيت الأسماء العربية معارفة عندهم وفي كل لغاتهم وليس لهم سبيل إلى تبديلها بغيرها. إذ من ذلك مثلاً واحداً لأنه الأس وبتثابة الرأس فلفظة أميرال عربية الأصل وهو عندنا أمير الماء كما تراءد في موسوعات النويري. بتر القوم القسم الأخير من باب التلطيف والتخفيف كما هو شأننا أيضاً في تعريب الكلمات الأعجمية. وقد جتا الآن فجاريناهم على التعبير بهذا الحرف وبما تركب معه فحسن نقول: أميرال، كتر أميرال، فيس أميرال.

من هو أول أميرال مسلم؟

هو العلاء بن الحضرمي الصحابي الجليل عليه رحمة الله فهو أول مسلم ركب البحر للغزو وكان ذلك من جهة الشرق والخليج الفارسي من عمان والبحرين.

وأما أول أميرال مسلم ركب بحر الروم للغزو فهو معاوية بن أبي سفيان حينما كان عاملاً على الشام في خلافة عثمان بن عفان.

ثم أن المسلمين شغفوا بالجهاد في البحر وامتلاك بعض جزائره. والذي يهمننا بصفنا مصريين هو أن نعرف أن أول تأسيس دار الصناعة كان في جزيرة مصر (جزيرة الفسطاط) في سنة ٥٤ هجرية وأن الأسطول بالمعنى الحقيقي كان أنشأه للمرة الأولى في بلادنا في أيام عنبسة ابن إسحاق وإلى مصر باسم الخليفة المتوكل العباس الذي سنذكره بمناسبة المنجنيق عما قريب وكان ذلك في سنة ٢٣٨ وكانت مصر إنما تصد بأسطولها غارات الروم وغيرهم من أمم أوربة.

وأما المهجوم فلم يكن من شأنا إلا في حالة العدوان عليها. وذلك لأنها من حيث الفتح والتوسع في الاستعمار ما كانت تطمح في غير رودس وقبرص.

والسبب في ذلك أنها تركت أمر الجزائر الأخرى للبلاد الإسلامية القريبة منها فكانت تونس توجه همتها البحرية إلى صقلية وسرادينة، وكان المغرب الأقصى متكفلاً بجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة وشطوط الأندلس وسواحل فرنسا.

ولكن تونس سبقت مصر في اتخاذ الأساطيل في أيام عاملها حسان بن النعمان بأمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ للهجرة.

بلغت الأساطيل الإسلامية من الجلالة أنه كان لا يدخلها غشيم - على قول الإمام المقرئ - ولا جاهل بأمر الحرب وكان لخدمتها حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم فيسمى بالوسائل حتى يستقر فيه. وقد أفادنا أيضاً أن العناية بالأساطيل الإسلامية في مصر إنما قويت منذ قدوم المعز لدين الله إليها. وأن المقدم على الأسطول كان أميراً كبيراً من أعيان أمراء الدولة وأقواهم نفساً (وهو الأميرال) وكان الأسطول يزيد في أيام العز على ثمانمائة قطعة ثم اخذ في الانحطاط

ولكن لم ينقص قط عن مائة قطعة فكان الخليفة يحض نفسه تجهيز الأسطول وتفريق النفقة على رجاله. حتى إذا تمياً للإقلاع ركب الخليفة إلى منطرة المقس (محل جامع أولاد عمان الآن) لتوديعه في احتفال باهر فيكون له يوم شهود يزيد بهاء ورواء حركات الأسطول المعروفة الآن بالمناورات البحرية والحربية وقد بلغ من عنايتهم بالأسطول إن دار الصناعة في مصر ما كان يدخلها أحد ركباً إلا الخليفة ووزيره وذلك يوم الاحتفال بفتح النيل أي جبر الخليج الذي انطمس الآن وصار طريقاً للرمواي وأصبح الاحتفال الآن معروفاً بموسم وفاء النيل.

كان للأسطول في أيام صلاح الدين ديوان مخصوص يسمى بديوان الأسطول وسلمه إلى أخيه الملك العادل. فكان هذا الديوان يشبه ما كان معروفاً في أيام محمد علي بديوان البحرية وما هو معروف بديار أوربة بنظارة البحرية. وهو الآن صفر في مصر لا عين ولا أثر.

وكانت إسكندرية ودمياط هما الميناءان الحربيان البحران في ديار مصر وضم إليها مدينة تنيس التي هي الآن خراب بلقع وأما الفسطاط (مصر القديمة) وقوص (من أعمال الصعيد) فكانتا من أعظم الموانئ النيلية وفيهما يكون إنشاء السفن الحربية التي ترابط بتلك الضور وتذهب للغزو والبحر لأجل إعلاء كلمة مصر وجعل رايها خفاقة في الحفاقين.

ما هي القطع التي كان يتألف منها الأسطول في الدول الإسلامية؟

هي الأعواديات والأغربة والبركوشات والحراريتق (أو الحراقات) والشلنديات والمسطحات. وبعده سفان أخرى تأتي في المرتبة الثانية من المكانة وإن كانت حاجته إليها شديدة وستكلم عليها عما قريب.

سارت الأساطيل الإسلامية باسم الله مجراها ومرساها فأرست على سواحل الجزر وشطوط أوربة. وأتى مراسيها وهي الأناجر جمع أنجر لفظة يونانية عربوها فقال الفرنسيون واشتقوا منها المصدر ثم ربط العرب مراكبهم بالحبال الغلظة وهي الأمراس والمرار جمع مر فسمى الطليان ذلك الحبل وتوسع فيها الفرنسيون فقالوا مثل ما صنع العرب حينما قالوا أمر السفينة أو الشيء أي ربطها بهذا الحبل الغليظ القوي المتين وعلى ذكر الحبل أذكر بأنه هو الفرنسية بمعنى واحد وأن اللفظة الثانية مأخوذة عن ذلك الأصل العربي.

ولا يسعني أن أتجاوز الشط وأن أتبع العرب في سيرهم قبل أن أقول أنهم حينما استقرت قدمهم بالسواحل أنشأوا فيها دور صناعة على مثل مذ ذكرنا في مصر وتوس فقال الطليان في أول الأمر (دور الصناعة) فكان مثلهم في هذا مثل أهل أسبانيا والبرتغال. ثم قال الطليان ثم ثم ثم واستمروا على هذا اللفظ الأخير إلى يومنا هذا ومنه كلمة الفرنسيين فلما جاء محمد علي وتقلد أمر مصر وأراد إحياءها رأى أن ذلك لا يتم إلا بإنشاء الأسطول. فاستحدثت دار الصناعة في الإسكندرية وأشأن الأسطول واستخدم في ذلك الكثير من الأتراك والطلبيان وغيرهم من بني الأصفر فلذلك جرى أجدادنا الأقربون هؤلاء القوم فاستردوا منهم كلمتنا العربية البحتة الختة المحضة مصوغة بلون إفرنكي ضاعت معه معالمها الأصلية فقالوا كما قال الترك ترسانة بل تركها بعضهم أكثر من الترك أنفسهم فقالوا ترسخانة من باب المبالغة في التضليل وتعفية آثاره الأصلية. وقد استحكت هاتان الكلمتان في استعمال الخاصة والعامة حتى لا سبيل لاقتلاعهما أو الإقلاع عنهما مع أن الطليانيين لا يزالون إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم يقولون ولكن للدلالة على القسم الداخل في جوف الميناء حيث يربطون السفن احتاجة للعمير بعد نزع ألقا وجهازها.

ما هي الوظيفة الأساسية لدار الصناعة؟

إنشاء السفن وإصلاح ما عساه يحدث فيها من العور؟

أخذ الإفرنج الكلمة الثانية وصنعوا منه كلمة ثم أطلقوها أيضاً على جميع أنواع العوار في السفن والسلع وغير ذلك.

ومن المعلوم أن إنشاء السفن يدعو إلى ما نسميه نحن الآن بالقلفظة على يد القلظاء فهذان اللفظان نالهما ما نال دار الصناعة فإنهما معربان عن اللغات الأوربية التي أخذتا عن اللغة العربية. وهذا كما ترى.

رأى أجداد عملة المسلمين يشتغلون في دور الصناعة بالقلافة فيقلظون المراكب فقالوا من فعل قلف العربي ثم أضافوا إليه علامة المصدر في لغتهم بعد زيادة حرف التاء للتوصل للنطق بين ساكنين كما يقولون في حالة الاستفهام ؟) قال في تاج العروس قلف السفينة قلظاً بجزز الواحها بالليف وجعل في خللها القار (الزفت) والاسم القلافة بكسر القاف أفليس هذا هو الذي يفعله القلظاء يا أبناء السبالة وأولاد الأنقوشي؟ فأنتم في ذلك شهود عدول.

كل أسطول لا بد له من سفان تحمل له الزاد والمتاع والكراع. فسماها التي نسميها اليوم (بالنقلات) أما الأساطيل الإسلامية فكانت تخدمها القراقير جمع قرقور اخذ الطليان هذا اللفظ فقالوا وقال الفرنسيون لا تعجبوا بين الصل والفرع فإن الانتقال من لغة إلى أخرى يلدنا على ما هو أشد وأبعد ولتعلمن نبأ بعد حين ولكن إذا علمتم أن البرتغاليين يقولون في تسمية هذه السفينة ثبت لكم صدقي وقد استرجعنا اللفظ منهم في هذه العصور الحديثة ولكن مفرنجاً فقلنا كركاة من قول الطليانيين ولكن بمعنى آخر لنوع آخر من السفن التي تستعمل لزرع الطين والرمال من قاع النهر والترع والخلجان ومن قاع المواني والمغابر البحرية في نظير المركب المسى عن

الفرنسيين وكان لابد لكل أسطول من سفائن خصوصية لحمل الخيل وهيب التي تسمى بالطراد جمع طريدة (وذلك خلاف الطراد وجمعه طرادات) أخذ الإفرنج هذا الاسم فقال الطليان ثم وقال الفرنسيون ولكن للدلالة على سفانها الشراعية التي تمخر في البحر الأبيض المتوسط غرباً. ومن توابع الأسطول الفوالك جمع فلوكة فقال الطليان وقال فرنسيون وكذلك الشباك - ومن توابعه القارب فقالوا من اللفظ المفرد وهو قارب ورعاً يصح القول أنهم أخذوه من غرائب بقيت على شكل كلمة بشأن الشلنديت التي ذكرتها في أسماء مراكب الأسطول. فسفردها شلندي (ولا ادري ما أصله في العربية) وربما كان أصله عن اللاتينية وهو واخذوه الروس فقالوا وقال الطليان والفرنسيون واسترجعناه منهم بطريقة التعريب والتقريب والتشيل والتأهيل فقلنا (صندل) وأصبح هذا الاسم بتعريفاته عندهم وعندنا على السفائن المختصة لنقل البضائع مثل الماعين جمع ماعون التي قال فيها الفرنسيون وقال الطليان رجعوا قليلاً بنا إلى البحر فإن الأسطول قد تصادفه الرياح بما لا تشتهيها وقد تعاكسه الأمواج فيلقى النوبة أو النواتية منه الأمرين وهو البحر وهولته بعرفهما كل من اقتحم لجة فالملاحون يسمون إضراب الموج الشديد بالهولة فقال الفرنسيون في ذلك للموج المعالي كالجبال وقد تعاكسه الرياح التي تهب من الجنوب الشرقي فبقي الاسم الثاني في ذاكرة أفرنج فقال الطليان - وأما الفرنسيون أطلقوا عليه وكل ذلك مأخوذ من الشرق وأما رياح الموسم فيسمىها الفرنسيون والطلليان ولا تعجبوا لوضعهم النون بدل الميم في آخر الكلمة فلهم في التبديل شيء كثير من هذا القبيل وحسبنا جنمياً أنهم يسمون مدينة سواكن فلأخذ النون من هناك ونضعها بدل الميم هنا لترد كل شيء لأصله لأن كلمة عندهم مأخوذة من الأصل العربي وهو الرد ولا عجب فإن اللاتينيون قالوا بإضافة علامة المصدر فراد الطليان والفرنسيون نونا من

عندهم وليس لنا في ذلك شأن عندهم ولكنهم عند نحت الاسم يردون الكلمة التي جرثومتها العربية فيقولون في تقديم الحساب وفي تسليم الحصون.

نعود إلى السطول ونقول أنه بعد أن لقي من البحر ما لقي دخل إلى الميناء ولعدم خبرة الريان اصطدم بثعب فقال إفرنجي في ذلك تشبيها له ببروز الرصيف في الشوارع والطرقات التي أنشأها العرب فيما بعد بتلك البلاد ثم دخول الأسطكول إلى الميناء في كلاءة الله وحفظه وفعل ما سنأتي على بيانه. وصل إلى الخل الذي يأمن فيه من عبث الرياح وثوران المواج وهو الموضع الذي يسميه الإسبانون والبرتقاليون والفرنسون وقد استعمله الفرنسيون من كلمة.

ألفاظ أصلها مشتق من كلمة كلاً العربية بمعنى حرس وحفظ.

وهذا كما ترى.

ماذا صنع الأسطول؟

اصطف للقتال ونصب المنجنيق. هذه كلمة يونانية استلحقها العرب وأضافوا إليها النون الأولى لتدخل في أوزانهم.

عادة المغاربة جرت بأنهم لا يضعون نقط الأعجام فوق الفاء والقاف وتحت الياء متى كانت هذه الحروف مفردة أو في أواخر الكلمات.

غذ في هاتين الحالتين لا يمكن حدوث التباس بينهما وبين ما يشابههما من الحروف الأخرى. فلو تصورنا أن بعضهم كتب اسم هذه الآلة الحربية على هذا المثال منجنيق وفرضنا أن ذيل الحرف الأخير انطمس بسبب ما فأصبح منجيو فإننا لو أردنا أن نرسمها وهي على هذا الشكل بحروف إفرنجية لتحصلنا على منجيو وينطقهم منجيو بغير تشديد النون وإن كانت مكتوبة مرتين وهو الاسم الذي القه الفرنسيون على المنجنيق.

أتعكم بذكر البحر والحروب وأنتم أهل السلام فهل تحبون الذهاب إلى العراق  
والدخول بمدينة السلام، مدينة بغداد؟

كانت مدينة أبي جعفر (بغداد) جنة الدنيا في عهد هارون والمأمون وخصوصاً في أيام  
المتوكل. وكان فيها شاعر يسمى أبو العبر له أحوال عجيبة وأمور غريبة وكان من  
الحنان الذين يقل نظيرهم في الدنيا. وقد تكفلت كتب التواريخ والأدب بشرح أموره  
وكان يزيد في كل سنة حرفاً في اسمه حتى انتهى بعد بضع سنوات إلى: أبي العبر طرد  
طيل طليري بك بك بك كان المتوكل يلبسه قميصاً من حرير ثم يرمي به في المنجنيق  
إلى نهر دجلة فسقى حذفه المنجنيق في الهواء قال: الطريق الطريق (كما تقول الآن  
وسع وسع) ثم يقع في الماء فيأبى السباح ويستخرجونه من الماء. وكان في أحد قصور  
المتوكل زلاقة ما أشبهها بالتوبوجان الموجود الآن في مصر الجديدة (واحة عين شمس)  
فكان الخليفة يأمره بالجلوس عليها ومن هناك ينحدر ساقطاً من فوق الزلاقة حتى يقع  
في البركة فيطرح الخليفة الشبكة فيخرجه كما يخرج السمك. وفي ذلك يقول  
شاعرنا:

ويأمرني الملك ... فيطرحني في البرك

ويصطادني بالشبك ... كأني من السمك

فعل المنجنيق بالحصون أفاعيله وتم له النصر فخلا الجو البر للعرب فزلوا وقاتلوا  
وفازوا ثم شنوا الغارات على الأقطار النائية تمهيداً للتسلط عليها فقال أصحابنا في  
الغارة وقال الإسابيون في المغاورين ولا يزال أهل إيطاليا يقولون للدلالة على الجندي  
وعلى المزيق الذي يعتقله وقالوا في الغازي (وذهب بعضهم إلى أنها مأخوذة من  
الوزير) ولا عجب من إضافة الجيم في هذه الحالة الثانية فإنهم يضيفونها على جميع  
الكلمات العربية المبدوءة بحرف الواو فيقولون في الوضوء وفي الوادي الكبير وهكذا

من كلمة اشتق الفرنسيون قولهم لحارس المدنيين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ورأوا العرب يستعملون السطانة وهي آلة لرمي البندق وصيد الطيور فقال الإسبان والبرتغاليون وأما الطليانيون فقالوا واقتصر الفرنسيون على رؤوسهم يستخدمون قاطعة وهي من نوع السكاكين فقالوا وربما كان هذا اللفظ مأخوذ عن صيغة الأمر من قول العرب: قط يقط قطاً أما الخنجر فقال الطليان فيه والفرنسيون وعلى ذلك قول شاعرهم:

وقالوا في الزغاية وهو نوع من الحراب العربية: تجتمع العساكر عادة على سوت البوق ولكن الإسبان حينما أخذوا هذه الكلمة ونقلوها إلى لغتهم قالوا لزماره الراعي. ومتى اجتمعت العساكر للعرض والتدريب فإن الفرسان تحتال بخيولها وقد تحتال الفرس فيدور على نفسه وذلك قول العرب كركر الفرس أخذ الفرنسيون ذلك اللفظ فقالوا وما أجمل امرئ القيس حين وصف الفرس بشطرة واحدة كل كلمة منها تدل على حركة مخصوصة وتجعل السامع يتخيلها واقعة حاصلة بحضرة قال:

مكر نقر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من على.

وكانت السهام في ذلك الوقت هي التي يترمى اخطابون بها. ولا يزال العرب مشهورين بإصابة القبلة وهي الهدف والغرض والقرطاس. فقال الفرنسيون في هذا المعنى من كلمة قبلة. ولا أزيدكم علماً بأن السهام توضع في الكنانة وهي الجعبة غير أن اشتباك العرب بالفرس والترك جعلهم يختارون كلمة من غير لسانهم وهي التركاش بهذا المعنى فقال الطليان ثم قالوا كما قال الإسبان وكما قال البرتغاليون والفرنسيون وانتم تعلمون أن الفرنسيين كانوا إلى عهد قريب ينطقون بحرفي كما

ينطقون بحرفي ولكهيم عدلوا عن كتابة في مثل هذا المقام وأبقوا على حال رسمها ونطقوها بالنطق الجديد فلذلك صار بينها وبين أصلها العربي بون كبير.

إلى هنا وضعت الحرب أوزارها فاستقرت قدم الفاتحين وعرضوا جيوشهم تحفق فوقها الرايات والأعلام والنود. فأخذ الفرنج هذه الكلمة الأخيرة فقالوا في بند المعربة عن الفارسية دلالة على الجماعة المنصوين تحت لواء واحد ثم اطلقوها من هذا القيد وقال الطليانيون في ذلك والفرنسيون وأخذنا عن الطليانيين كلمتنا مطلية فحن نقول الآن بنديرة.

### ماذا كان لون راياتكم؟

كان تبعاً لشعار الدولة القائنة في دمشق أو بغداد أو القاهرة. فشعار بني أمية من الألوان الخضرة في الملابس والبياض في الرايات أخذوا البياض عن اللون الذي كان يعتم به النبي صلى الله عليه وسلم وأما بنو العباس فشعارهم السواد في الخلتين. لأخذوا ذلك فيما يقال عن اللون الذي اختاره رسول الله يوم حنين ويوم فتح مكة. فإنه عقد لعنه العباس راية سوداء وقيل أن ذلك يرجع إلى حزمهم على إبراهيم بن محمد أول القائنين بالدعوة العباسية. فإن مروان بن محمد الجعدي المنبؤ بالحمار هو آخر بني أمية حينما ضيق عليه الخناق قال الرجل لشيعته: لا يهولكم قتلي. فإذا فكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم العباس. فلما قتله مروان ليس أشياعه كلهم السواد حداداً وحرناً عليه حتى إذا صار إليهم هذا الأمر أعني الخلافة جعلوا السواد شعارهم في كل أمرهم وكانت جنودهم تعرف باسم المسودة فكانت المسودة تتقابل مع الميضة (أي لابسى البياض من المواليين للأمويين) والناس على فريقين بعضهم يسود وبعضهم يبيض حتى عم السواد سواد العراق وخفق على جميع الآفاق. اللهم إلا في الأندلس فإنها عادت أموية بفضل عبد الرحمن الداخل وكان شعارهم الخضرة

في الرايات كما يراه الإنسان في البقايا المحفوظة إلى الآن في دور التحف بمدريد وغيرها من أمصار إسبانيا.

وقد تغالى الأندلسيون في أيام دولتهم في كراهة السواد حتى أنهم لم يعملوه في الحزن والحداد فكانوا يلبسون الثياب البيض فقط في الحداد لتلا يشتهون بالعباسيين في شيء ما حتى عند وقوع المصائب وكوارث الأيام.

ولقد تجددت في هذه الأيام ذكرى الأندلسيين في حدادهم على يد عادة من فتيات أميركا وهي نظن أنها مبتدعة للبس البياض في حالة الحداد. أشير إلى أرملة الحاجة استور صاحب القناطر المقطرة من الدنانير والملايين المملينة من الذهب الوهاج.

فإنه بعد أن غرق حديثاً في الباخرة تيتانيق وهي لا تزال في ربيع العمر وربيعان الشباب رأت من الراجب عليها أن لا تشوه محاسنها بلبس السواد على ما جرت به العادة الشائعة الآن في جميع أقطار العالم فاخترت البياض. فمن لي بتعريف هذه العادة المعينة بأنها ليست من الاجتهادات وإنما كانت لعرب الأندلس من المقلدات.

ومن غريب ما يعلق بالسواد والنساء أن الظافر خليفة الفاطميين بمصر لما قتله وزيرد. بعث نساء الخليفة بشعورهن إلى الصالح طلائع بن رزيك وهو يومئذ عامل بنية ابن الخصب (أعني أنه كان مدير المينا بحسب اصطلاحنا الإداري الآن) فأسرع لنجدتهن. ورأى أن يستميل الأمة المصرية وأجنادها إليه لأجل إعانة الحریم والدفاع عن بيضة الخلافة فعقد تلك الشعور على رؤوس الرماح (كما هو الحال الآن في وضع جدائل الشعر فوق المزاريق التي يعلقها الرماحة في أوروبا وفي مصر) وأقام الرايات السود من باب الحزن على الخليفة المقتول وعلى ما حل بالقصرين وساكنات القصرين من بيت الخلافة وإعلاناً بالحرب لأخذ ثأر الظافر فدخل القاهرة على هذه الصورة. فكان ذلك من الفأل العجيب وهو أن مصر انتقلت إلى المسودة (بني

العباس) ورجعت إلى حكمهم بعد ذلك بخمسة عشر سنة في أيام العاضد آخر الفواطم وعلى يد صلاح الدين الذي يسميه الإفرنج كلهم فكان السواد شعارها الرسمي تبعاً لراية أمير المؤمنين . حتى جاءت دولة المماليك فصار لون الرايات هو الصفر. كانت لهم راية سلطانية صفراء وهي مطرزة بالذهب وعليها ألقاب السلطان. وبعدها راية عظيمة صفراء أيضاً وفي رأسها خصلة من الشعر وهي التي تسمى بالجاليش. ويتلو ذلك رايات صفر صغار تسمى السناجق.

فلما جاءت الدولة العثمانية صار اللون الرسمي هو الأحمر يتوسطه الهلال المحبوب الذي ترمقه العيون وتلتف حوله القلوب.

فلنقف الآن تحت الهلال ونترك البقية الباقية مخاضرة أو محاضرات تالية إن شاء الله.

أحمد زكي.

مطبوعات ومخطوطات

مؤلفات الدكتور شميل

قليل من المؤلفين المتقدمين والمتأخرين من رزقوا شجاعة الدكتور شميل صراحتة في الجاهرة بآرائه العلمية والفلسفية والاجتماعية عرف ذلك منذ نحو أربعين سنة فعد في مصر والشام أحد أفراد قلانل جداً وربما كان فرداً في بابه نبت المؤلف في كفر شيما من جبل لبنان ودرس الطب في كلية الأميركان وأتقن الفرنسية فسهل الكتابة بما كما سهل عليه الكتابة بالعربية وهو ينظم الشعر يتوخى فيه المعاني العلمية والاجتماعية وهاجر إلى مصر منذ أربعين سنة ولولا ذاك لاضطهد وأوذى كثيراً خصوصاً ومن مذهب الدعوة إلى العلم الخوض الجديد والزهد في التعاليم القديمة كيف كانت حالها وهو ناشر مذهب دارون في النشوء والتحول باللغة العربية وهذا المذهب هو الذي يدعي بعضهم أن أصل الإنسان قرد والحقيقة أنه لا يقول أن القرد